الصراع بين بني امية و بني زبير (دراسة تحليلية تاريخية)

ايمان عباس علي
الأستاذ المشرف
الدكتور حسين فلاح زاده
الأستاذ المساعد
الدكتور سيد مهدي حسيني
جامعة الأديان والمذاهب فرع التاريخ الإسلامي

الملخص:-

حكم الأمويون أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي لمدة قرن تقريبا في خضم أزمات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية متشابكة ؛ ومن بين هذه الأزمات كانت الصراعات السياسية والعسكرية مع الزبيريين، وكانت آل الزبير من العائلات المؤثرة في الأحداث السياسية والاجتماعية والعسكرية في العصر الأموي ، وقد تسببوا بقيادة عبد الله بن الزبير في خلق العديد من المشاكل للخلافة الأموية لما يقرب من عقدين من الزمن، وواجهوا تحديا خطيرا، وادعى عبد الله بن الزبير الخلافة مستغلاً الظروف الزمنية التي نشات بعد واقعة كربلاء وهجوم وتدنيس مكة والمدينة، وبين عامي ٦٣ هـ و ٧٣ هـ ، حكم أجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية والعراق ومصر واليمن وحتى أجزاء من سوريا وخراسان بلقب الخليفة ؛ وعمليا خلال هذا الوقت نشهد وجود خليفتين ، الزبير والأموي ، في الحجاز وآخر في الشام ؛ وأخيرا ، أدت تصرفات الجماعات المعارضة لهذه العائلة وأخطائهم التكتيكية والسياسية والظروف الزمنية المحددة لهذه الفترة إلى هزيمتهم في ميدان السلطة ؛ ويساعد التحقيق في خصائص آل بني زبير الشهيرة والسعي وراء القوة الباحثين في التاريخ على التعرف على ازدهار هذه السلالة وانحسارها ودورها في الأحداث التاريخية، والزبير من أشهر العائلات في تاريخ الإسلام ، الذين بدأوا نشاطهم بمحاولة الوصول إلى الخلافة ونشر الأحاديث في نفس الوقت ؛ وتهدف معظم روايات عائلة الزبيري إلى إبراز هذه العائلة وإظهار دور عائلة الزبيري بشكل فعال في تاريخ الإسلام المبكر، وتم في هذا البحث دراسة الخصائص العائلية لهذا النسب وأنشطتهم وعلاقاتهم مع الأمويين . الكلمات المفتاحية : الصراع ، بني أمية، بني زبير ، الخلافة ، عبد الله بن الزبير.

:Abstract

The Umayyads ruled over large parts of the Islamic world for about a century amid intertwined political, social, cultural and economic crises, among these crises were the political and military conflicts with the Zubirians, The Zubairs were one of the influential families in the political, social, and military events of the Umayyad period, and they, led by Abdullah bin Zubair, created many problems for the Umayyad Caliphate for almost two decades and made them face a serious challenge, Abdullah bin Zubayr claimed the caliphate by taking advantage of the circumstances that arose after the disaster of Karbala and the attack and desecration of Mecca and Medina. And between the years 63 AH and 73 AH, he ruled over large parts of Arabia, Iraq, Egypt, Yemen, even parts of Syria and Khorasan with the title of caliph, and actually witnessed the presence of two caliphs, Zubair and Umayyad, in Hijaz and the other in Syria. Are .Finally, the actions of the opposing groups of this family and their tactical and political mistakes and the special time conditions of this period led to their defeat in the field of power. Examining the characteristics of the famous and power-seeking Bani Zubair family helps history researchers to learn about the prosperity and decline of this dynasty and their role in historical events. Al-Zubayr is one of the most famous families in the history of Islam, who started their activities by trying to reach the caliphate and at the same time published hadiths. Most of the narratives of the Zubiri family are to give prominence to this family and effectively show the role of the Zubiri family in the early history of Islam. In this research, the family characteristics of this lineage, their activities and relations with the Umayyads are investigated .Key words: conflict, Bani Umayyad, Bani Zubair, Caliphate, Abdullah bin Zubair.

المقدمة:

تتسم الدراسة في إظهار نزاع حاول الكثير من المؤرخين والباحثين اخفاءه الا ان الحقيقة لا يمكن اخفاءها ولذا فان دراستنا في هذا الموضع تسعى إلى إظهار مدى الصراع الذي كان قائما آنذاك منذ بداية صدر الإسلام إلى نهاية الدولتين الاموية والزبيرية .تهدف الدراسة إلى التوصل لمدى الصراع الذي كان قائما بين بنو امية وبنو الزبير وذلك من خلال فهم طبيعة الصراع وطبيعة القبيلتين الاموية والزبيرية، ونتائجها على الواقع العالمي بصورة عامة والواقع الإسلامي بصورة خاصة، تناول البحث محاور عدة منها كيفية الصراع السياسي بين الزبيريين والأمويين والمواجهة السياسية بين الأمويين والزبيريين ،منها مواجهة ابن الزبير مع معاوية.

تمهيد:

ان العلاقات بين الزبيريين والامويين تتسم بالشدة والنزاع والصراع المستمر من فترة الزبير بن العوام ومواجهته لمعاوية وكذلك فترة ابنه ومواجهته لـ يزيد ومروان بن الحكم،لديهم صراعات كثيرةلا سيما أنها كانت متعارضة من وجهة نظر سياسية بل حتى وثقافية واجتماعية وبهذه الطريقة ، فان الزبيريين لهم أهمية في تاريخ الأمويون ، لأنهم وقفوا ضد الخلفاء الأمويين الأربعة من يزيد إلى عهد عبد الملك

بن مروان وواجهوهم تحديا خطيرا، لكن أخيرا ، أدت تصرفات الجماعات المعارضة لعائلة الزبيري وأخطائهم التكتيكية والسياسية والظروف الزمنية المحددة لهذه الفترة إلى هزيمتهم في ساحة السلطة. المواجهة السياسية بين الأمويين والزبيريين: لفهم العلاقة والمواجهة السياسية بين الزبيريين والأمويين ، يجب متابعة هذه القضايا على شكل عدة أقسام ؛ وفيما يلي نتطرق إلى لقاء الزبيريون في عهد معاوية وخلفاؤه.

١.مواجهة ابن الزبير مع معاوية:- من فحص الروايات التي تعكس السلوك المتبادل بين معاوية وابن الزبير، تتضح هذه الحقيقة أنه على الرغم من أن معاوية عرف واستخدم طريقة كبح ابن الزبير جيدا، كذلك أدرك ابن الزبير أن حكومة معاوية قد تاسست وأنه كان قادرًا على الحفاظ على الحكومة وصد المطالبين وتسييس الخصوم جيدا؛ لذلك سار على طريق الطاعة واستفاد من عطايا معاوية، وفي هذا الصدد، من الواضح أننا إذا أخذنا في الاعتبار مشاركة ابن الزبير في بعض الحملات في زمن معاوية على أمل الحصول على دروع وجوائز من الخليفة الأموي، فلن يكون ذلك بعيدا عن الحقيقة؛ وكان معاوية، وهو يرضي ابن الزبير ويتسامح معه، لأنه يعلم جشعه للخلافة، يحذره كلما وجد أن ابن الزبير قد تجرأ، ولكي لا ينسى منصبه وظروفه، وليعلم أن الوقت ليس هو الوقت المناسب لتحقيق أحلامه، رد معاوية على سيادة عبد الله بن الزبير.قال ذات مرة لابن الزبير: يا ابن الزبير، أعلم أن ابن عمي محمد (عليه الصلاة والسلام) هو الذي دعاك إلى الإسلام وقبله، واليوم يجب أن تقبل دعوتي. وقد تعددت الروايات التي تروي صفات ابن الزبير من كلام معاوية وتدل على أن معاوية عرفه أكثر من غيره ونصح ابنه يزيد بطرق التعامل معه؛ وبحسب معاوية فان ابن الزبير أشبه بالأسد يراقب الهجوم، ومثل الثعلب يخدع بالهجوم عندما يحين الوقت؛ وينصحه بقبول أبن زبير ما دام يدخل من باب السلام ويستسلم، أما إذا دخل من باب العداء ليقاتله وإذا انتصر عليه يقطعه أشلاء. مما لا شك فيه أن معاوية نفسه طبق هذه النصيحة على ابن الزبير.كما أنه علم أن نجل الزبير، رغم أنه لا أمل له في الخلافة مع معاوية، لكنه بالتأكيد ينتظر موته حتى يتم توفير الشروط له لتحقيق الخلافة؛ وسيكون من غير الواقعي للغاية إذا قبلنا أن معاوية وصف ابن الزبير بهذه الطريقة في وصيته إلى يزيد، لكنه لم يكن يعلم أنه كان يامل في قلبه في الخلافة بعد معاوية؛ وعلى أي حال، فهو يفسر حقيقة أن معاوية على علم بحقيقة وضع ابن الزبير؛ ولهذا السبب، كان يرسي الأساس لترسيخ خلافة يزيد، الذي لم يكن مشهوراً أولاً، وثانيا لم يكن يتمتع بلباقة ولطف معاوية؛ ومن الواضح أن معاوية علم أن الظروف التي ستنشأ مع خلافة ابنه ستمهد الطريق لواحد من المطالبين الخطرين بالخلافة، وهو ابن الزبير؛ وعلى الرغم من وجود الإمام الحسن (عليه الصلاة والسلام) فإن هذا الأمر (ولي عهد يزيد) لا يقبل التحفظات. لأن من شروط السلام أنه عند وفاة معاوية يترك أمر الخلافة للشورى، أو بحسب ابن قتيبة فان الخلافة للإمام الحسن (عليه الصلاة و السلام). لهذا السبب، قرر أن يسمم حسن بن علي (عليه الصلاة و السلام) لتمهيد الخلافة لابنه يزيد؛ وما يؤكد ذلك أن معاوية بايع يزيد بعد قليل من استشهاد الإمام الحسن (عليه الصلاة و السلام) في الشام وكتب إلى المنطقة المحيطة ليبايعه.وكتب معاوية لمروان يطلب منه مبايعة يزيد في العراق أن وضع مبايعة يزيد في العراق والحجاز لا يزال غير موات؛ ومروان رفض وكتب أن شعبك لن يقبل دعوتك لمبايعته يزيد؛ وقام معاوية بفصل مروان وعين سعيد بن عاص مكانه وكتب رسالة إلى سعيد لمبايعته يزيد؛ وبعد أن دعا الناس إلى ذلك ولم يقبله الناس كتب إلى معاوية أن الناس يرفضون هذا الأمر وليس لي سيطرة عليهم إلا بسلاح الفرسان والراجلين. وبحسب ابن عبد ربه، عندما كتب معاوية إلى المدن عام ٥٥ هـ ،يرسل مبعوثين إليه لمعرفة موقف الناس من الولاء يزيد، لأنه تحدث لوحده مع محمد بن عمرو بن حزم الذي قدم من المدينة، وسأله عن رأيه في مبايعة يزيد؛ ومحمد الذي ادعى أن لا أحد يهتم بالأسرة الأموية أكثر منه؛ لم ير من المناسب مبايعة يزيد، فقد صدم معاوية، وأخذ نفسا عميقا وقال إنه لا يوجد أحد سوى ابني وأبنائهم (الصحابة) وأنا أحب ابني أكثر من أبنائهم. كما يمكن رؤية شدة عدم الرضا وعدم رغبة أهل الحجاز والعراق في مبايعة يزيد من موقف ابن عمر المتشدد، الذي تجنب بشكل أساسي القسوة والتركيز في الأمور السياسية؛ فوجد أنه قال: هل نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويعلن الفاحشة؟ ماذا سيكون دليلنا أمام الله؟.من الواضح أن ابن الزبير، الذي كان من الممكن في مثل هذه الحالة أن يطالب بالخلافة بعد معاوية، استغل الفرصة وفضل ترك الطريق لخلافته بعدم مبايعته؛ وكغيره من أبناء الصحابة رفض مبايعة يزيد، بل بحسب سعيد بن عاص أظهر عداوته ومعارضته ببيعته.حتى نهاية حياته، حاول معاوية أن يبايع يزيد من نبلاء وشيوخ الحجاز والعراق، وخاصة أبناء الصحابة المشهورين؛ وكتب رسائل إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وحسين بن علي وطلب من كل منهم مبايعة خاصة، فجميعهم، ولا سيما الحسين بن علي (عليه الصلاة و السلام)، رفض الإجابة؛ ثم طلب معاوية من سعيد بن عاص أن يبايع الناس بالعنف؛ وكتب سعيد أن لا أحد من الناس يبايع، والجميع يخضعون لهذه الجماعة (نبلاء وشيوخ)، فاذا أقسموا بالولاء أقسم الناس أيضا؛ وذهب معاوية إلى المدينة

المنورة للحج؛ وقال معاوية في كلمة ألقاها لأهل المدينة المنورة: لم يعين رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خليفة، لكن أبو بكر فعل، ولم يتصرف عمر مثله، بل أوكل العمل إلى مجلس من ستة أشخاص، لذلك لم يتصرف أبو بكر مثل النبي صلى الله عليه و آله و سلم ولا عمر، مثل ابو بكر؛ لهذا السبب يمكنني أن أفعل ما لم أفعله، أضع طفلي خلفا لي.المشكلة التي أثارها ابن الزبير كانت هل يمكن مبايعة ابنه في حياة معاوية وهو الخليفة؛ قال لمعاوية إنه إذا انسحب فهو مستعد لمبايعته ابنه، لكن إذا بايع ابنه على الرغم من نفسه فمن يطيع؟ اختفت هذه المشكلة أيضا في وقت لاحق، لكن هذه المرة كانت مجرد البداية. كما نقل عن ابن الزبير أنه استشهد بحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لعدم مبايعة يزيد.حاول معاوية في هذه الرحلة إقناع أبناء الصحابة العظام باللطف والتسامح، ولكن عندما اختلفوا جميعا أدرك أنه لن ينجح بهذه الطريقة؛ وذهب إلى مكة؛ وبدأت حيل معاوية بخدعة أخرى، حيث جمع الناس الذين ذهبوا للحج من مدن مختلفة، وأعلن أن أبناء الصحابة بايعوه سرا على يزيد؛ كما صاحت مجموعة من الشاميين بالسيوف المسحوبة مطالبين بالولاء علانية، لكن معاوية أسكتهم.. وزع الهدايا على الناس. وهكذا، بذل معاوية قصارى جهده لتثبيت حكم يزيد من بعده؛ لكن لأنه علم أنه بعد وفاته، فان أهل الحجاز والعراق، وخاصة هؤلاء الأربعة (حسين بن علي، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عمر، عبدالرحمن بن أبي بكر)، الذين كانوا من أبرز أبناء الصحابة العظام، لن يبايعوا يزيد بسهولة. وذكر ابنه بكيفية التعامل مع كل منهما؛ وذكر أنه لا يهتم باحد بعده لحكم ابنه؛ باستثناء هؤلاء الأربعة، كتب إلى يزيد في وصيته أنه يعتقد أن شعب العراق سوف يدعو حسين بن علي (عليه الصلاة و السلام) للثورة، وإذا حدث ذلك، فعليه أن يقاتله، وإذا انتصر عليه، دعه يذهب؛ واعتبر عبد الله بن عمر رجلاً يتعبد ولا يريد أن يحكم إلا إذا نصت عليه الخلافة دون عناء؛ ولم يعتبر عبد الرحمن بن أبي بكر أن له مثل هذه الخلق والكرامة بحيث يهتم به الناس في هذا الأمر، إلا إذا تم توفير الحكومة له دون عناء؛ أما بالنسبة لابن الزبير فقد ذكر أنه مستعد للهجوم كالأسد، وهو مخادع كالثعلب، وعندما أتيحت له الفرصة يهاجم؛ وقال إنه إذا فعل ذلك وفزت عليه، فمزقه إربا. هذه الروايات، حتى لو كانت مزيفة ومجعولة، تقديم صورة مفصلة لشخصية هؤلاء الناس؛ كما تؤكد جميع الأحداث اللاحقة هذا المخطط؛ وعلى أية حال، ورغم كل جهوده وحيلة، لم ينجح معاوية في الحصول على ولاء يزيد من شيوخ الصحابة في المدينة المنورة حتى نهاية حياته.

٢.مواجهة ابن الزبير مع يزيد بن معاوية:–توفي معاوية عام ٦٠ هـ، وعاش ابنه يزيد في حوارين (قلعة في منطقة حمص بشام). وبعد ذلك جاء إلى دمشق وذهب إلى المسجد ووقف على المنبر. وأشاد بمعاوية بخطب قصيرة ومعبرة؛ وكتب على الفور رسالة إلى وليد بن عتبة بن أبو سفيان، أمير المدينة المنورة، وأمره بالولاء من أهل تلك المدينة لخلافته، ولهذا بدأ مع الحسين بن علي (عليه الصلاة و السلام)؛ لأن عبد الله بن الزبير كان في نفس موقع الحسين بن علي (عليه الصلاة و السلام) من حيث الولاء يزيد؛ وتدل الدلائل على أن يزيد كان أكثر اهتماما بمبايعة هذين الشخصين؛ مما لا شك فيه أن مقارنة المواقف والسلوكيات والتفاعلات بين الاثنين في هذه الحالة ستساعدنا على فهم أفضل للشخصية والأهداف وأيضا تقييم حركة كل منهما؛ لذلك يُذكر بإيجاز كيف يتعامل كل واحد مع موضوع الولاء بناءً على ما يستدل عليه من مصادر مختلفة؛ وكتبت مصادر أن أفضل جهد قام به يزيد هو مبايعة حسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير.وجاء في المصادر أنه إذا لم يبايع حسين بن علي (عليه الصلاة و السلام) فقتله وذكر ابن عثم في تقريره أن رسالة يزيد إلى وليد بن عتبة كانت على النحو التالي: (من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فاذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانيا على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، و ذر عبد الله بن الزبير فانه لن يفوتنا و لن ينجو منا أبدا ما دام حيا، و ليكن مع جوابك إلي رأس الحسين بن علي، فان فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل و لك عندي الجائزة و الحظ الأوفر و النعمة واحدة و السلام)والتوضيح انه إذا لم يبايع وليكن جوابك الى رأس الحسين يستحق النظر.

يذكر في بعض المصادر أهل السنة: (ولما بويع يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة أمير المدينة: أن أدع الناس إلى البيعة، و ابدأ بوجوه قريش، و ليكن أول من تبدأ به الحسين، و ارفق به، فبعث الوليد في الليل إلى الحسين وابن الزبير، وأخبرهما بوفاة معاوية، و دعاهما إلى البيعة، فقالا: نصبح و ننظر فيما يصنع الناس، و وثبا فخرجا، و أغلظ الوليد للحسين، فشتمه الحسين و أخذ بعمامته فنزعها، فقال الوليد: إن هجنا بابي عبد الله إلا أسدا، فقيل للوليد: اقتله، قال: إنّ ذلك لدم مصون و خرج الحسين و ابن الزبير لوقتها إلى مكة).تم استخدام عبارة وليكن أول من تبدأ به الحسين و ارفق به، والتي كانت صارمة بالنسبة لهم في مبايعتهم مبكراً حتى لا تتاح لهم الفرصة لجمع المؤيدين من هذه الزاوية من العالم الإسلامي؛ وتسبب هروبهم من المدينة المنورة والذهاب إلى مكة أو العراق بطبيعة الحال في مشاكل للأمويين؛ واستشار وليد مروان. قال (مروان): يحلفون اليمين قبل أن يسمعوا بخبر موت معاوية، وإلا إن اعلموا و ثب كلّ واحد منهم فى جانب، وأظهر الخلاف

والمنابذة ودعا إلى نفسه. إذا علموا، سيبدأ كل منهم تمردًا ويعبر عن معارضته وعداوته ويدعو الناس للانضمام إليهم؛ وأكد لوليد حاكم المدينة أن يطلب منهم الولاء قبل أن تثور أي فتنة، وإذا لم يبايعوا فاضربوا على أعناقهم؛ ووصف وليد طلبه بانه غير معقول وأشار إلى الإمام الحسين (عليه الصلاة و السلام) وقال كيف يمكنني قتله. طلب وليد من الإمام الحسين (عليه الصلاة و السلام) وابن الزبير اللذين كانا جالسين في المسجد أن يحضروا على الفور دار الحكم؛ولقد فوجئوا باستدعاءهم الفوري وأدركوا أن موت معاوية يجب أن يكون قد حدث؛ وبعد أن عرف الاثنان سبب استدعاء حاكم المدينة لهما؛ وسال ابن الزبير الحسين بن علي (عليه الصلاة و السلام) ما هو قرارك، فقال إنني لن أذهب إلى أمير المدينة وحده ولا رفيق؛ لهذا السبب، عاد إلى المنزل، وتوضا، وصلى ركعتين، وذهب إلى دار الحكم مع أسرته وعشيرته وقال لهم: كن مستعدا في حالة تفاقم الوضع، على سبيل المثال، هناك ضوضاء عالية. ولما تحدث أمير المدينة عن مبايعة يزيد قال الحسين بن علي (عليه الصلاة و السلام): (لا خير فى بيعة سر والظاهرة خير)عندما أصر وليد، قال الإمام حسين (عليه الصلاة و السلام) أن شخصا مثلي لن يبايع شخص مثل يزيد. بعد ذلك غادر القصر.عندما غادر الإمام غضب مروان على وليد، لكن وليد أخبره أنه ليس على استعداد للقاء الحسين (عليه الصلاة و السلام) يفقد فيه دينه؛ ولاحقا لما وصل نبأ هجوم وليد بن عقبة إلى أذني يزيد أقاله وعين عمرو بن سعيد بن عاص على المدينة المنورة؛ فلما أرسلوا إلى ابن الزبير أرسل رسالة مفادها أنه قادم وطلب الوقت. لكنه غادر المدينة المنورة متوجها إلى مكة ليلاً.كما عاد ابن الزبير إلى بيته وتردد في الذهاب إلى وليد (حاكم المدينة المنورة)؛ وكان مبعوثي وليد يأتون ويذهبون باستمرار إلى منزله حتى يرسل شقيقه جعفرو يقول لوليد استسلم عن عبدالله اليوم سيأتي غدا؛ ولما انتهى النهار فر ابن الزبير إلى مكة ليلاً مع شقيقه جعفر (شخصان) خوفا من مطاردة قوات وليد.وفي المدينة المنورة بدأ عمرو بن سعيد في اعتقال بعض من أنصار ابن الزبير ومنهم عبد الله بن مطيع عدوي الذي أفرج عنه بضغط من قبيلة بني عدي. كما علم الإمام الحسين (عليه الصلاة و السلام) أنه على الرغم من كثرة الأمويين في المدينة المنورة إلا أن هذه المدينة لم تكن آمنة، فغادر إلى مكة مع عدد من أقاربه وأصدقائه باستثناء محمد بن حنفية؛ ولم يوافق الإمام الحسين (عليه الصلاة و السلام) على نصيحة مسلم ابن عقيل بالسير في الطريق الجانبي، كما ذهب ابن الزبير.كل المؤرخين واضحون أن رغبة ابن الزبير كانت أن يذهب الإمام الحسين (عليه الصلاة و السلام) إلى الكوفة ويكون الحجاز مهيئًا له؛ وبعد الإمام الحسين (عليه الصلاة و السلام)، أصبحت شخصية عبد الله بن الزبير منقطعة النظير، بدأ سرًا في مبايعة أهل الحجاز؛ ويزيد، الذي ربما كان قلقا من العواقب المحتملة لانتفاضة كربلاء، حاول اللجوء إلى الخداع مثل والده؛ لذلك أرسل هدايا إلى ابن الزبير لخداعه، لكن ابن الزبير لم يقبل. لقد جعل معارضته أكثر جدية وتحولت إليه مجموعة من أهل مكة والمدينة. قال اليعقوبي إنه لما وصل نبا وفاة الإمام الحسين (عليه الصلاة و السلام) لابن الزبير، جشع الخلافة. لأن استشهاد ذلك الإمام زاد من حقد الناس على يزيد؛ ومن ناحية أخرى، مع غيابه، كان ابن الزبير المطالب الوحيد ضد يزيد الذي استطاع أن يجذب إليه كل القوى المعارضة، واستغل الإثارة التي كانت في أذهان المسلمين ضد عدوه يزيد، وإذا كان أحد أعداء آل علي عليهم السلام القدامى بعد سماع نبأ استشهاد الإمام الحسين، ذهب عبد الله بن الزبير إلى المسجد وأدان قاتليه علانية؛ وعلى وجه الخصوص، أطلق على أهل الكوفة لقب الخونة الذين يخالفون العهد، وفي النهاية، امتدح الإمام الحسين (عليه الصلاة و السلام)، وأدان يزيد قائلاً: والله لم يكن من الذين غنوا الأغاني بدلاً من القرآن، وغنوا الأغاني بدلاً من البكاء خشية الله، وشرب الخمر بدلاً من الصيام، واللعب مع كلاب الصيد بدلاً من ذكر الله ويبدو أن من العوامل التي ساهمت في موقف ابن الزبير، احتجاجات أهل المدينة، التي زادت بلا شك بعد حادثة كربلاء؛ وفي عام ٨٢ هـ أرسل عثمان بن محمد عددًا من شيوخ المدينة المنورة إلى يزيد ليغفر له ويرحمه. قدم يزيد العديد من الجوائز والهدايا لإرضائهم؛ لكن عندما عادوا إلى المدينة المنورة، بدلًا من دعم يزيد، شوهوا عليه وأخبروه بالفساد والجرائم التي رأوها منه، ونتيجة لذلك توتر الوضع في المدينة المنورة ولم تحقق جهود يزيد أي فائدة. وقال المسعودي: "باذن ابن الزبير طرد الناس الأمويين ووالي المدينة (مروان) وبايعوا عبد الله بن حنظلة الذي بعث عنه. ولما علم يزيد بولاء أهل الحجاز وتهامة لعبدالله بن الزبير، اختار حصين بن نمير السكوني و حبيش بن دلجه القينى و روح بن زنباع الجذامي، وأرسل جيشا مع كل منهم؛ وأمر الجيوش بمسلم بن عقبة المري، فطاردهم إلى مكان ماء اسمه وبرة، ولما انفصل عنهم قال لمسلم؛ أوقفوا أهل شام عما يريدون أن يفعلوه بعدوهم، واجتازوا المدينة المنورة، إذا قاتلوك، قاتلهم، وإذا انتصرت، نهب المدينة المنورة لمدة ثلاثة أيام. ولما وصل نبا وصول الجيش إلى أهل المدينة، استعدوا للحرب، اختار أهالي قريش المدينة المنورة عبد الله بن معطي عدوي قائداً لهم، وعين أنصار عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قائداً لهم؛ وذهب المدنيون إلى منطقة الحارة وقاموا ببناء خندق مائي، لكن الشام تجاوزوا الخندق ودخلوا المدينة من الخلف بمساعدة وخيانة عشيرة بني حارثة وهزموا المدافعين؛ وقتل عبد الله بن حنظلة واعتبر الشامان دماء وممتلكات المسلمين

في المدينة المنورة حلالاً لمدة ثلاثة أيام وليالي ونهبوا ممتلكاتهم. عندما انتهى العمل، ذهب مسلم إلى مكة ليقتل ابن الزبير؛ لكنه مرض في الطريق، وقبل وفاته عين حصين بن نمير مكانه لمواصلة مهمته، وانتقل إلى مكة. عبد الله بن الزبير مع كل من معه من المحاصرين في المسجد الحرام، وأمر حصين بن نمير بتركيب المنجنيق على قمة جبل أبو قبيس، ومن هناك قاموا برشق الحجارة على من داخل المسجد.

لم يستمر حصار ابن الزبير على يد حصين بن نمير قائد الجيش الشامي أكثر من أربعة وستين يوما عندما وصل نبا مقتل يزيد بن معاوية إلى مكة.وليس من الضروري الإشارة إلى أن عدم قبول خلافة يزيد كان بسبب الجرائم غير المسبوقة التي ارتكبها"؛ وفي نهاية حكمه الذي دام أربع سنوات، اشتد حكمه لدرجة أن الجيش أرسله إلى مكة لصد ابن الزبير؛ وعند سماع نبا وفاته، لم يروا أي دافع لدعم الحكم الأموي؛ لأن حصين بن نمير قائد الجيش الشامي أراد لقاء ابن الزبير وأخبره أنه مستعد لمبايعته والذهاب إلى شام معه، وقال له عبد الله بصوت مرتفع: بعد مقتل حرة؟ لا والله لن اقتل خمسة من ابناء شام أمام كل واحد منهم. رفع عبد الله يده عنها؛ وقال حصين: من يظن أنك رجل ذكي فهو أحمق، أنا أتحدث إليك ببطء وأنت تصرخ؛ أريد أن آخذك إلى الخلافة وتتحدث عن الحرب وتعتقد أنك ستقتلنا؛ ستعرف من سيقتل.ثم ذهب أهل الشام إلى وطنهم مع حصين؛ ودمر ابن الزبير بعد انتهاء الحرب مع حصين بن نمير منزل الكعبة الذي احترق بالكامل، ليعيد بناءه.

٣.مواجهة ابن الزبير مع معاوية بن يزيد:-جاء معاوية بن يزيد بن معاوية على العرش بعد أبيه، وكانت مدة حكمه حتى وفاته أربعين يوما أو شهرين.لقبه أبو يزيد. المسعودي يكتب: وكني حين ولي الخلافة بابي ليلى، و كانت هذه الكنية للمستضعف من العرب، وفيه يقول الشاعر:إني أرى فِتنةً هاجَتْ مَرَاجِلها و الملك بعد أبي ليلى لمن غلبا. كتب المسعودي وفاته على النحو التالي:(و لما حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية فقالوا له: اعْهَدْ الى من رأيت من أهل بيتك، فقال: و الله ما ذُقتُ حلاوة خلافتكم فكيف أتقلد وِزْرَها؟ و تتعجلون أنتم حلاوتها، و أتعجل مرارتها، اللهم إني بريء منها، مُتخلٍ عنها، اللهم إني لا أجد نفراً كاهل الشورى فاجعلها إليهم ينصبون لها من يرونه أهلًا لها، فقالت له أمه: ليت أني خرقة حيضة و لم أسمع منك هذا الكلام، فقال لها: و ليتني يا أُماه خرقة حيض ولم أتقلد هذا الأمر، أ تفوز بنو أُمية بحلاوتها و أبوءُ بوزرها و منعها أهلها؟ كلا! إني لبريء منها. و قد تنوزع في سبب وفاته، فمنهم من رأى أنه سقي شربة، و منهم من رأى أنه مات حَتف أنفه، و منهم من رأى أنه طعن، و قبض و هو ابن اثنتين وعشرين سنة). في هذا الوقت كان المطالب الوحيد بالخلافة في الحجاز عبد الله بن الزبير، ومع وفاة يزيد وخليفته بايع أهل العراق عبد الله بن الزبير، وجعل عبد الله بن مطيع العدوي والي الكوفة؛ وانتفضوا في الشام وبلاد الرافدين (بين النهرين) بأمر من ابن زبير، فقط في منطقة الأردن وقف خسا بن بجدل الكلبي عم يزيد مع قومه وكان نيته أن ياخذ خالد بن يزيد وهو طفل، للخلافة. في الوقت نفسه، كان مروان قد وصل إلى الشام من المدينة المنورة ودعا الشاميين لنفسه، فاجتمعوا في جابية دمشق و تجادلوا في ابن الزبير وحقوق الأمويين؛ و تناقشوا عن خالد بن يزيد بن معاوية وعمرو بن سعيد بن عاص من بعده؛ وكان روح بن زنباع الجذامي من أنصار مروان ووقف أثناء الخطبة وقال؛ يا أهل شام هذا مروان بن حكم شيخ قريش متعطش لدماء عثمان الذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ويوم صفين فبايعوا الشيخ واعترفوا الطفل كولي للعهد؛ ثم بايع عمرو بن سعيد مروان بن حكم، ثم لخالد بن يزيد، ومنذ ذلك الوقت أطلق عبد الله بن الزبير على نفسه أمير المؤمنين في مكة.

٤.مواجهة ابن الزبير مع مروان:-مع وفاة يزيد، نشا موقف كان نجل الزبير يتمناه منذ سنوات؛ وإن كراهية الناس وتجنب حكم يزيد وعدم وجود مدعي جدير ومعروف للخلافة مهدت الطريق أمام الناس للتوجه إلى ابن الزبير؛ والحجاز والعراقيون، الذين كانوا يكرهون حكم الأمويين، وخاصة يزيد، كانوا يبحثون عن أمل في خلاصهم تحت ظلم وضغط عملاء يزيد، وكانهم ينتظرون مثل هذا اليوم؛ كما أقسم شيوخ الحجاز وتهامة على الولاء لابن الزبير قبل وفاة يزيد وغزو جيش حصين بن نمير لمكة. في البصرة، لجأ عبيد الله بن زياد، الذي رأى نفسه على شفا الدمار بوفاة يزيد، إلى حارث بن قيس زعيم قبيلة ازد، وبمساعدته هرب ليلاً، وعين الناس عبد الله بن حارث بن نوفل أميرا لهم. وفي الكوفة رجم أهل عمرو بن حارث ممثل عبيد الله بالحجارة واختاروا عامر بن مسعود لأنفسهم. في خراسان، بعد وفاة يزيد، تمرد الناس على مسلم بن زياد (شقيق عبيد الله بن زياد) وهرب من خراسان. وسلم نفسه لابن الزبير (كانه رأى سيادته مؤكدة)؛ وبعده بدأ سليمان بن مرثد وعبد الله بن خازم خلافا على السلطة وقرروا كتابة رسالة إلى ابن زبير، واختار كل منهما أميرا، واختار ابن الزبير ابن خازم. أو في بلدان أخرى، لم تكن كراهية الناس للحكم الأموي واليزيد خفيفة؛ لأنه في شام، حيث كانت أسس الحكم الأموي أقوى من أي مكان آخر، كان كره الناس لدرجة أنه عندما ألقى معاوية بن يزيد خطبة على الناس بعد وفاة والده، قال: أيها الناس، لقد أصبحت مدمنا علينا وأنتم مدمنون علينا، ولسنا غافلين عن كراهيتكم لنا ولغتكم السيئة.

تأسست خلافة ابن الزبير عام ٨٤ هـ بعد وفاة يزيد بن معاوية، وبدأ ضعف حكم معاوية بن يزيد بعد ٤٢ يوما من خلافته؛ وكان الخطر الرئيسي للأمويين في الشرق الإسلامي هو ظهور خليفة قوي نسبيا في مكة منذ عام ٦١؛ وبالتالي، كان ذلك تمهيدا لهم للاستفادة من هذا الضعف وتدمير حكم السفيانيين في تلك المنطقة؛ وبعد وفاة يزيد، أراد عبيد الله بن زياد، حاكم تلك المنطقة، إبقاء البصرة والكوفة تحت حكمه، وتسبب تمرد أهل البصرة في فراره إلى شام. بعد ذلك بقي العراق بعد المختار في يد الزبير حتى عام ٧٢، ولم يكتف الأمويون إلا بأرض الشامات ومصر. في مثل هذه الحالة، تم إعداد كل شيء لخلافة ابن الزبير، ووفقا اليعقوبي، كان الناس من جميع أنحاء العالم يميلون إلى ابن الزبير. وبحسب المسعودي، باستثناء منبر الطبرية في الأردن، أُلقيت الخطب باسمه في جميع المنابر في العالم الإسلامي. وبحسب ابن قتيبة، بايع أبناء شام كلهم ما عدا الأردن وأهل مصر كلهم وأهل العراق والحجاز واليمن لابن الزبير. الذين دعموا الزبيريين هم: في مكة بايع عبد الله بن مطيع العدوي ابن الزبير وعملائه في مصر عبد الرحمن بن مجدم الفهري وأطاعه أهل مصر؛ وفي فلسطين، ناتل بن قيس الجزامي، في دمشق، ضحاك بن قيس الفهري، وفي حمص، نعمان بن بشير الأنصاري، وفي قنسرين وعواصم زُفر بن الحارث الكلابى؛ وفي البصرة حارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وفي خراسان عبد الله بن خازم السلمي؛ ولم يبق منها إلا أنهم لجأوا إلى ابن الزبير إلا الأردن الذي كان بيد حسان بن بحدل الكلبي خال خالد بن يزيد بن معاوية وأحد أنصار الدولة الأموية. عند أبي حنيفة الدينوري، لما دخل ابن زياد دمشق رأى الناس مشتتين ولم يكن فوقهم أحد، وخطط مروان بن حكم أيضا أن ينضم إلى ابن الزبير ويبايعه، لكن ابن زياد يوبخه. وأوقفه عن ذلك، وذكره أنه هو نفسه أحق بالخلافة؛ وبحسب أبو علي مسكوية، فقد جعل مروان، الذي لم تكن روحه على علم بمثل هذا الوضع، ولم تحلم به حتى، جشعا للخلافة. دعا الشاميين إلى نفسه، فاجتمع الناس في جابية دمشق وتناقشوا في ابن الزبير وحق الأمويين، ونصر روح بن زنباع الجذامي مروان ونهض للخطبة فقال: يا أهل الشام، هذا مروان بن حكم شيخ قريش متعطش لدماء عثمان، وهو نفسه الذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ويوم صفين، فبايعوا الشيخ. وبحسب ابن قتيبة، عندما تولى ضحاك بن قيس شام من ابن الزبير، قال بعض الشاميين وعلى رأسهم النبلاء الأمويون: الحكومة بيننا شامان، فكيف نتركها لأهل الحجاز، ثم أرادوا البيعة لخالد بن يزيد الذي قال علي النظر في الأمر؛ وذهبوا إلى عمرو بن سعيد وقال إنه سيفعل ذلك. فلما تركوه قالوا: هذا القول غير مستقر وذهبوا إلى مروان وكان يقرأ القرآن وقال: أسأل الله أن يختار أفضل أمة محمد لهذه المهمة؛ وقال روح بن زنباع لمروان إن أربعين رجلاً جذاما معي، أقول لهم أن يذهبوا إلى المسجد غداً، فتقول لابنك عبد العزيز أن يلقي خطبة غداً وتدعو الناس ليبايعوك؛ واقول ايضا يؤيدون كلام عبد العزيز.حدث ذلك كما قال، وبايعوا مروان؛ ويمكن الاستنتاج من جميع الروايات أن البيعة لمروان كانت حدثا غير متوقع وقع في الجابية بمحرم ٨٥ هـ؛ وبعد ذلك دخل مروان في حرب مع ضحاك بن قيس حاكم دمشق، وتواجه الطرفان في مرج راهط. عن النويري عن ابن زياد قال لمروان: "رجال قبيلة قيس الشجعان كلهم مع ضحاك ولا يمكن هزيمته إلا بالدهاء والمكر؛ الآن أرسل شخصا واطلب منه السلام والتوقف عن القتال، حتى نرى ما سيحدث لك في النهاية، فقد تجد أنه من المناسب مبايعة ابن الزبير. يذكر هذا السرد أن قوات ضحاك بن قيس كانت لها ميزة على أنصار مروان، فقد التقى ضحاك بمروان في مرج راهط، على بعد أميال قليلة من دمشق، لكن على أية حال انتصر جيش مروان وقتل ضحاك؛ وهرب نعمان بن بشير وكيل ابن الزبير في حمص، وزُفَر بن حارث كلابي وكيله في قنسرين والعواصم الذي ساعد ضحاك في هذه الحرب؛ وبعد ذلك، مع هجوم مروان على فلسطين، هرب نائل بن قيس الجذامي من هناك، وتصالح أهل مصر مع مروان وطردوا وكيل ابن الزبير. وبهذه الطريقة تم تشكيل حكومة مروان. ونجح ابن الزبير في هزيمة جيش حبيش بن دلجة الذي أرسله مروان إلى الحجاز في آخر أيام حكمه على يد واليه في البصرة حارث بن عبدالله بن أبي ربيعة وأمير المدينة المنورة عباس بن سهل الساعدي؛ باستثناء القليل ممن تمكنوا من الفرار، قُتل باقي أفراد هذا الجيش.

٥.مواجهة ابن الزبير مع عبد الملك بن مروان:-كانت السنة الخامسة والستين للهجرة عندما توفي مروان في دمشق بعد تسع سنوات من الحكم؛ خلافا للاتفاق الذي أبرمه مع الأمويين، خلع مروان خالد بن يزيد وليا للعهد وأعلن ولديه عبد الملك وعبد العزيز خلفاءله؛ وفاخته، والدة خالد، التي تزوجت مروان، قتلت زوجها بالسم، وبحسب رواية موثوقة، فقد ضغطت على حلقة وخنقته، وتولى عبد الملك الخلافة واجه عبد الملك العديد من المشاكل الداخلية والخارجية بعد وصوله إلى الخلافة؛ وجغرافيا، سيطر على بلاد الشام ومصر وفلسطين، بينما سيطر خصمه عبد الله بن الزبير على جزء من العالم الإسلامي. أي أن الحجاز والعراق كانا المهيمنين؛ ومن أجل الحد من دائرة الدعاية لابن الزبير، منع عبد الملك أهل شام من أداء فريضة الحج وأمرهم بعدم الذهاب إلى مكة وأداء مناسك الحج في القدس؛ وهذا الفعل جعل ابن الزبير غير قادر على إيصال رسالته لأهل حكم عبد الملك".من ناحية، أصبح مختار الحاكم في العراق، وكان لا بد من صده، ومن ناحية

أخرى، كان هناك الخوارج الذين تسببوا في مشاكل في البصرة وجنوب غرب ووسط إيران؛ وكلف ابن الزبير أخيه مصعب بالعراق لصد انتفاضة المختار؛ وفي البصرة عمل مهلب بن أبي صفرة عند الخوارج، وهو نفسه حوصر في الحجاز على يد بني هاشم الذي لم يبايعه. وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن هذه المشاكل والمشاكل هيأت الأرضية لسقوط خلافة ابن الزبير، لكن من المؤكد أن مصدر الكثير من هذه المشاكل ونقاط الضعف الأخرى لخلافة ابن الزبير كان سوء الإدارة والسمات غير السارة، مثل الجشع والجشع والأنانية التي سيطرت على سلوكه وأفكاره. وأخيراً بعد أن نجح مصعب في هزيمة المختار في العراق (الكوفة)، وقام مهلب بن أبي صفرة بتفريق الخوارج، واصل مطاردتهم وقتلهم في إيران؛ أراد مصعب الزبيري الاستيلاء على شام، ولكن بعد الهزيمة التي عانى منها نائل بن قيس، تخلى عن ذلك. وتجمع عبد الملك الذي اقترب من ممتلكات الزبيريين وأعد جيشه لمواجهتهم وتوجه نحو العراق؛ وفي طريقه إلى العراق، عقد عبد الملك مروان السلام مع زفر بن الحارث الكلبي، حاكم القرقيسية (مؤيد ابن الزبير) وانتقل إلى الكوفة للقتال مع مصعب؛ مصعب الذي حكم العراق نيابة عن أخيه عبد الله ذهب ضد عبد الملك؛ وعبد الملك، الذي كان يعرف أهل العراق جيداً ويعرف ضعف ابن الزبير، كتب إلى قادة جيش مصعب ووعدهم أنهم إذا ذهبوا إليه وأطاعوه، فسيعطيهم بعض الممتلكات، وكانت النتيجة أن قادة جيش مصعب الذين نزلوا في جاثليق انضموا إلى عبد الملك ليلاً، وقاتل مصعب مع إبراهيم بن مالك اشتر وعدد من أقاربه حتى قُتلوا.ومن أهم أسباب ضعف مصعب الزبيري مقتل إبراهيم بن مالك اشتر؛ وكان مصعب من أهم حكام الزبير الذين حكموا العراق في كل الفترات التي كان فيها العراق تحت حكم الزبير إلا لفترة وجيزة؛ وكان لديه تحيزات عربية محددة بشأن قضايا العرق وخاصة كان لديه نظرة متشائمة للإيرانيين لأنهم رافقوا مختار؛ وبعد ذلك ذهب عبد الملك إلى الكوفة وبايع هناك.لقد حان الوقت الآن لكي يخوض الخليفتان المعركة مباشرة؛ وقرر عبد الملك فتح الحجاز، لكنه رفض هذه المرة مواجهة ابن الزبير مباشرة؛ وهو الذي قاتل شخصيا مع مصعب بن الزبير، قرر العودة إلى شام وإرسال حجاج بن يوسف الثقفي للقتال مع ابن الزبير للقضاء عليه. لم يذهب عبد الملك بن مروان شخصيا إلى الحجاز ليجعل مكانة عبد الله بن الزبير كخليفة تبدو غير مهمة ولا قيمة لها. عبد الملك بن مروان، الذي أرسل قدامة بن مظعون (أحد قادته) إلى ابن الزبير في العراق، ولما عاد إلى شام، كلف حجاج بن يوسف الثقفي بحربه، وطرد ابن مظعون.ويقال أن سبب تكليفه بهذه المهمة أن الحجاج قال له: حلمت أني قتله (ابن الزبير) وجلست على صدره وخلعت جلده. سلك الحجاج طريق الحجاز عبر العراق ونزل في الطائف، حيث ما زال عبد الملك يرسل له قوات، وهو يعلم أنه سينتصر على ابن الزبير؛ وانتقل الحجاج إلى الحجاز في جمادي سنة ٢٢ هـ ودخل مكة في ذي القعدة من نفس العام وحاصر ابن الزبير، وفي الطائف أرسل الحجاج فرسانه إلى عرفات بطريق غير مؤذٍ، كما أرسل ابن الزبير بعض الفرسان فقاتلوا، وهرب فرسان ابن الزبير، وعاد فرسان الحجاج منتصرين.ثم كتب حجاج رسالة إلى عبد الملك وطلب الإذن بدخول منطقة الحرم ومحاصرة ابن الزبير وطلب منه تعزيزات؛ وعين عبد الملك طارق بن عمر الذي سبق إرساله مع جيش إلى وادي القرى لمساعدة الحجاج. قيل استمر حصار ابن الزبير ستة أشهر وسبعة عشر يوما وايضا قيل ثمانية استمر الحصار أشهر وسبعة عشر يوما؛ وأثناء موسم حج ذلك العام، كان الحجاج هو رئيس الحج، لكنه ورفاقه لم يؤدوا الطواف، وضحى ابن الزبير ببعض الإبل في مكة، لكن لا هو ولا أصحابه يؤدون فريضة الحج؛ ونصب الحجاج المنجنيق على جبل أبي قبيس (المطلة على المسجد الحرام) وغطى مكة بالمنجنيق (النار)؛ ويقال أنه عندما تم استخدام المنجنيق وحدث الرعد وخاف الشامان، أخذ الحجاج نفسه حجراً ووضعه في المنجنيق وشارك في رمي الحجارة. مع إطالة أمد الحصار واشتداد الحرب، تخلّى أصحاب ابن الزبير، الذين بدا أنهم لا يرون أي أمل في دعمه وحياته، عنه بشكل مفاجئ وذهبوا إلى الحجاج، بحسب الطبري؛ ومن الذين تخلوا عنه ابناه حمزة وخبيب اللذان لجاوا لأنفسهم.وقد ذكر ابن قتيبة أن ابن الزبير جمع قريش ليلة قتلها فقال: ما رأيكم؟ وقال أحدهم وهو من بني مخزوم: لقد حاربنا معكم كثيراً حتى أنه لم يبق لنا محاربون، وإذا ثابرنا فلن ياتي إلينا إلا الموت؛ ولم يتبق سوى خيارين، إما أن ننقذ أنفسنا وأنت، أو دعنا نذهب. نصحه شقيقه عروة بالتصالح مع الحجاج، لكنه لم يقبل؛ لأن عبد الله يذهب إلى والدته في الساعات الأخيرة من حياته ويطلب منها واجبا، وأمه تقول شيئًا مفاده أنه يجب عليه تجنب الاستسلام لأبناء الأمويين.هذا يعني أنه كانت هناك طريقة ليختار غير القتل؛ وابن الزبير الذي تفرق إلا قلة من أصحابه واصل القتال مع أهل الشام ويغني راجزي بموضوع، أحسنت، لو كان لدي رجل كنت ساربحهم، وأجابه حجاج قائلاً، لديك مساعدين لكنك أفسدتهم من أجلنا.جلب اليعقوبي هذا التدفق على النحو التالي:(و لما علم ابن الزبير أنه لا طاقة له بالحرب دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر، فقال: كيف أصبحت يا أمه؟ قالت: إن في الموت لراحة، و ما أحب أن أموت إلا بعد خلتين: إما أن قتلت فاحتسبك، أو ظفرت فقرت عيني. قال: يا أمه! إن هؤلاء قد أعطوني الأمان، فما ذا تقولين؟ قالت: يا بني أنت أعلم بنفسك، إن كنت على حق و إليه تدعو، فلا تمكن عبيد بني أمية منك يتلاعبون بك، و إن كنت على غير الحق، فشأنك وما تريد.

قال: يا أمه! إن الله ليعلم أني ما أردت إلا الحق، و لا طلبت غيره، و لا سعيت في ريبة قط، اللهم إني لا أقول ذلك تزكية لنفسي، و لكن لأطيب نفس أمي. ثم قال: يا أمه! إني أخاف إن قتلني هؤلاء القوم أن يمثلوا بي. قالت: يا بني، إن الشاة لا تالم للسلخ إذا ذبحت. قال: الحمد لله الذي وفقك، و ربط على قلبك! و خرج، فخطب الناس، فقال: أيها الناس! إن الموت قد أظلكم سحابة و أحدق بكم ربابه، فغضوا أبصاركم عن الأبارقة، و ليشغل كل امرئ قرنه، ولا يلهينكم التساؤل، و لا يقولن قائل أين أمير المؤمنين؟ إلا من سأل عني فإني في الرعيل الأول. ثم نزل فقاتل حتى قتل).جلب آخرون هذه القول بنفس المفهوم ومع اختلافات طفيفة في الكلمات؛ وفي صباح يوم ١٧ جمادى الأول استيقظ ابن الزبير بعد غفوة من صلاة الليل وصلى مع أصحابه ثم قال لهم: افتحوا وجوهكم (لأنهم كانوا يرتدون عمائم) فلما فتحوا وجوههم قال: يا عائلة الزبير، إذا تعاطفتم معي، فقد كنا أسرة من العرب الذين رأوا المصائب في سبيل الله، لكننا لم نشهد الإذلال؛ لكن فيما بعد، كانت عائلة الزبير تخشى صراع السيوف (من خطاب ابن الزبير، من الواضح أن بقية رفاقه كانوا من عائلة الزبير بشكل أساسي)؛ وبعد أن شجع رفاقه على القتال، ذهبوا إلى الحرب مع الشاميين؛ ويقولون إنه هو نفسه هاجم الخصوم ودفعهم إلى هجون، لكن أخيرا اندفع ألف شخص إلى الداخل ورشقوه بالحجارة حتى مات.قيل إن الشاميين لم يعرفوا ابن الزبير بمقتله، ولما نادت أمة الزبير: ويل لأمير المؤمنين تعرفوا عليه وقطعوا رأسه وأتوا به للحجاج؛ ووفقا لأوامر الحجاج، تم شنق جثته في التنعيم (مكان خارج مكة المكرمة) وبعد ٣ أو ٢ أيام، تم إنزال جسده من المشنقة ودفنه..وذكر مسعودي فترة خلافته بسبع سنوات وعشرة أشهر وثلاثة أيام في مكان واحد وثماني سنوات وخمسة أشهر في مكان آخر.

الخاتمة:

١.لفترة طويلة ، أصبح الزبيريون مصدر متاعب للأمويين ، وبتاسيس الخلافة الزبيري في الحجاز ، تمكنوا من أن يصبحوا خصما قويا ضد الأمويين ؛ وخاصة وأن مجالهم كان أوسع من نطاق الأمويين . أطعت شام ومصر الأمويين ، بينما كانت الحجاز والعراق واليمن وأجزاء من إيران وحتى أجزاء من شام ومصر تطيع الخليفة الزبيري .

٢.كان سلوك الخلفاء الأمويين ، ومنهم يزيد بن معاوية ، مخالفا تماما للقيم الإسلامية ، مما أثار غضب الناس ؛ واقتصاديا ، كان الناس تحت الضغط ، رغم أن الفتوحات الإسلامية تسببت في تدفق الكثير من الثروة إلى المدن الإسلامية ؛ ومن ناحية أخرى ، مارس المسؤولون الحكوميون ضغوطا على الناس لتحصيل الضرائب ، وكان بعض تصرفاتهم ضد الأوامر الأموية ؛ وتم تقسيم المجتمع المسلم في هذا الوقت .

٣.في النهاية هزم الأمويون الزبيريين ، ولابد من رؤية سبب هزيمتهم في بعض أخطائهم ، و الأخطاء السياسية للزبيريين وبعض الصفات السلوكية غير السارة لعبد الله بن الزبير مهمة جدًا ؛ ولو كان عبد الله بن الزبير أكثر كرما مثل الخلفاء الأمويين ، لكان على الأرجح قادرًا على إبقاء الناس من حوله خدما للثروة والسلطة .

الهوامش:-

١. ابن عبدربه، العقد الفريد: ج ٤، ص ٩٢

٢.الدينورى، اخبار الطوال: ص ٢٢٦

٣.ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٦٣

٤. ابن قتيبة، الامامة والسياسة: ج ١، ص ١٧٦-١٧٧

٥. ابن عبدربه، العقد الفريد: ج ٥، ص ١١

٦.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي:، ج ٢، ص ٢٢٨

٧. ابن قتيبة، الامامة والسياسة: ج ١، ص ١٧٧

٨.ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ٢١٢

٩.البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٧، ص ٣٤١

١٠.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٢٨

١١. الطبري، تاريخ طبري: ج ٥، ص ٣٢٢؛ ابن جوزى، المنتظم: ج ٥، ص ٣٢٠

١٢.ابن اثير، الكامل فى التاريخ: ج ٤، ص ٦

١٣.ابن طاووس، لهوف: ص ٢١

١٤.ابن أعثم كوفى، الفتوح: ج ٥، ص ١٨
١٥.ابن كثير، البدايه و النهايه: ج ٥، ص ٧
١٦. الطبري، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٣٩
١٧.ابن أعثم كوفى، الفتوح: ج ٥، ص ١٣
١٨. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ٢٢٦
١٩.ابن أعثم كوفى، الفتوح: ج ٥، ص ١٨
٢٠ ابن أعثم كوفى، الفتوح: ج ٥، ص ٢١
٢١.الدينورى، اخبار الطوال: ص ٢٢٨
٢٢.ابن أعثم كوفى، الفتوح: ج ٥، ص ٢٣
٢٣.ابن أعثم كوفى، الفتوح: ج ٥، ص ٢١
٢٤.البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٤، ص ١٧
٢٥.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤٧
٢٦.الطبري، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٢٧٤
٢٧.. نويرى، نهايه الارب: ج ٧، ص ٢١٦
٢٨.المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٧١
٢٩. الدينورى، اخبار الطوال: ص ٣١٠
٣٠. الدينورى، اخبار الطوال: ص ٣١١
٣١.ابن اثير، الكامل فى التاريخ: ج ٤، ص ١٢٣
٣٢.ابن أعثم كوفى، الفتوح: ج ٥، ص ١٦٤
٣٣.ابن اثير، الكامل فى التاريخ: ج ٤، ص ١٢٥
٣٤.المسعودي، مروج الذهب: ج ٢، ص ٨٧
٣٥.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٠٣
٣٦.المسعودي، مروج الذهب:، ج ٣، ص ٧٣
٣٧.المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٧٣
٣٨.المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٧٧
٣٩.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٩٨
٤٠. الدينورى، اخبار الطوال: ص ٢٦٤
٤١.الدينورى، اخبار الطوال:، ص ٢٨٣
٤٢.الطبري، تاريخ طبري: ج ٥، ص ٥٢٤
٤٣.البلاذري، فتوح البلدان: ص ٤٠٣
٤٤.البلاذري، فتوح البلدان: ص ٤٠٤
٤٥.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٥٤
٤٦.المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٨٥
٤٧.اليعقوبي، تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢٥٥
٤٨.المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٨٨
٤٩.ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ١٥
٥٠.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٥٥

٥١.الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٨٥
٥٢.ابن مسكويه، تجارب الأمم: ج ٢، ص ٨٩
٥٣.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٩٨
٥٤.ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ١٥
٥٥. نويرى، نهايه الارب: ج ٦، ص ٧٥
٥٦.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٥٦
٥٧.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٥٦
٥٨.المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٩٦
٥٩.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٠٥
٦٠. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٦٩
٦١. ابن أعثم كوفى، الفتوح: ج ٦، ص ٢٦٦
٦٢.الدينورى، اخبار الطوال: ص ٣٥٧
٦٣.الدينورى، اخبار الطوال: ص ٣١٣
٦٤.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٦٦
٦٥.نويرى، نهايه الارب: ج ٦، ص ١١١
٦٦.الدينورى، اخبار الطوال: ص ٣١٤
٦٧.الطبري، تاريخ الطبري: ج ٦، ص ١٨٨
٦٨. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٣٠
٦٩.ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٣٠
٧٠.ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٣١
٧١.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢: ص ٢٦٧
٧٢. نويرى، نهايه الارب: ج ٦، ص ١١٦
٧٣.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٦٨
٧٤.المسعودي، مروج الذهب: ج ٢، ص ٢٣٩؛ ج ٢، ص ٧٥٦

المصادر والمراجع:

١.ابن اثير جزرى، على بن محمد. (١٣٨٦ ق). الكامل فى التاريخ. بيروت: دار صادر.
٢.ابن اعثم كوفى، احمد بن على. (١٤١١ ق). الفتوح. بيروت: دار الأضواء.
٣.ابن جوزى، عبدالرحمن بن على. (١٤١٢ ق). المنتظم فى تاريخ الامم والملوک. بيروت: دار الكتب العلمية.
٤.ابن طاووس، سيدعلى بن موسى. (١٤١٧ ق). اللهوف فى قتلى الطفوف. قم: انتشارات انوارالهدى.
٥.ابن عبدربه اندلسى، أحمد بن محمد. (١٤٠٤ ق). العقد الفريد. بيروت: دار الكتب العلمية.
٦.ابن قتيبه دينورى، عبدالله بن مسلم. (١٤١٠ ق). الامامة والسياسة. بيروت: دار الاضواء.
٧.ابن كثير، اسماعيل بن عمر. (١٤٠٧ ق). البداية و النهاية. بيروت: دارالفكر.
٨.ابن مسكويه رازى، احمد بن محمد. (١٣٧٩ ش). تجارب الأمم. طهران: انتشارات سروش.
٩.البلاذري، احمد بن يحيى. (١٤١٧ ق). انساب الاشراف. بيروت: دارالفكر.
١٠.الدينورى، احمد. (١٣٦٨ ش). الأخبار الطوال. قم: الشريف الرضى.
١١.الطبري، محمد بن جرير. (١٣٨٧ ق). تاريخ الامم والملوک. بيروت: دار التراث.
١٢.المسعودى، على بن حسين. (١٤٠٩ ق). مروج الذهب ومعادن الجوهر. قم: دار الهجرة.
١٣.النويرى، احمد بن عبدالوهاب. (١٤٢٣ ق). نهاية الأرب في فنون الأدب. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.